مغامرات عماد وعلا
٦
قضية لص السيارات
سلسلة ألغاز بوليسية مثيرة للناشئين
٤×٢
Looloo
www.dvd4arab.com

١ ــ اللص السخيف ..

انتهت أسرة العقيد (خيرى) من تناول إفطارها ، ونهض هو من مقعده ، وارتدى سترته ، قائلًا لولديه (عماد) و(علا) :

ــ هيَّا يا صغيرىَّ ، حان الوقت لأوصلكما إلى مدرستكما ، قبل ذهابى إلى عملى .

نهض (عماد) بنشاط ، على حين غادرت (علا) مقعدها فى تكاسل ، وهى تقول :

ــ يا إلٰهى !! لقد سئمت الذهاب إلى المدرسة كلَّ صباح .. ألا توجد بلاد بلا مدارس ؟

ضحكت الوالدة وقالت :

ــ لو أنه توجد بلاد بهذا الشكل ما سمع بها أحد ؛ لأن شعبها سيكون بالضرورة متخلِّفًا جاهلًا ، لن ينجب

رجال صحافة أو إعلام ، ولن تكون له صحف ، أو قنوات تليفزيونية ، أو أى وسيلة من وسائل الإعلام .

أما الوالد فقال فى عتاب :

ــ لولا وجود المدارس ، وذهابك إليها كل صباح ، ما أمكنك التمتع بالعقلية الكافية لحل الألغاز البوليسية يا (عُلا) ، ثم إن حلّ الألغاز البوليسية ، يحتاج إلى ثقافة واسعة لا تتوافر بلا تعليم .

قالت (عُلا) فى خجل :

ــ هذا صحيح يا والدى .

ثم تناولت حقيبتها ، وتبعت والدها و (عماد) فى استسلام ..

هبط الجميع درجات السُّلَّم وهم يتمازحون ، وما أن أصبحوا أمام مدخل المنزل حتى توقَّفوا مبهوتين ، وصاح العقيد (خيرى) فى لهجة تمتزج فيها الدهشة بالغضب :

ــ ربَّاه !!.. أين سيارتى الصغيرة ؟

صاح (عماد) فى دهشة :

وما أن أصبحوا أمام مدخل المنزل حتى توقفوا مبهوتين ..

ـــ لقد اختفت من مكانها ، لقد سُرِقت .

استدار العقيد (خيرى) عائدًا إلى منزله ، وهو يقول فى غضب :

ـــ يا للّص السخيف !! ألَمْ يجد أمامه سوى سرقة سيارة ضابط من ضباط المباحث الجنائية ؟

* * *

فشل (عماد) و (عُلا) فى استيعاب دروسهما هذا الصباح فى المدرسة ، فقد كان ذهنهما مشغولًا للغاية بحادث سرقة سيارة العائلة ، وازداد سخط (عُلا) على مدرستها ، التى حرمها قدومها إليها من متابعة الحادث ، ولكنها لم تلبث أن تذكَّرت قول والدها ، عن وجوب تمتع من يحل الألغاز البوليسية بالعلم والثقافة ، فتلاشى سخطها ، وأخذت تحاول التركيز على دروسها ، على الرغم من انشغال عقلها بالبحث عن سرِّ اختفاء السيارة .

ولم يكد يدقّ جرس الفسحة ، حتى أسرع

(عماد) و (عُلا) ، يلتقيان فى فناء المدرسة ، وأسرعت (عُلا) تقول فى لهفة :

ـــ ألم تلاحظ أن السيارة قد اختفت من أمام المنزل ، دون أن نسمع صوت دوران محرّكها ؟

فكَّر (عماد) لحظة ، ثم قال :

ـــ من يدرى ؟.. ربما لم نسمع صوت المحرّك لاستغراقنا فى النوم .

قالت (عُلا) فى ضيق :

ـــ ولماذا سيارتنا بالذات ؟.. هناك أربع سيارات أخرى تقف فى نفس الشارع .

ابتسم (عماد) ، وقال :

ـــ ربما كانت سيارتنا أجودها .

لم تنتبه (عُلا) إلى دعابته ، فقالت بغضب :

ـــ بالعكس .. إن سيارتنا عاديَّة جدًّا .. وسيارة جارنا الجديد ذات الغطاء من القماش الزَّاهى من نفس نوعها ، وسيارة الأستاذ (حسين) أفخر كثيرًا و .....

قاطعها (عماد) ، قائلًا :

ـــ كنت أمزح فحسب يا أختاه ، وَلَنْ نلبث أن نعود إلى منزلنا بعد انتهاء اليوم الدراسىّ ، وربما وجدنا سيارتنا هناك .

مرَّ النصف الثانى من اليوم الدراسى عليهما بطيئًا ، وزاد من بطئه شدة لهفتهما على الانصراف ، حتى أنهما لم يحتملا الوقت الذى قطعته سيارة المدرسة ، وهى تعود بهما إلى المنزل ، وهناك خاب أملهما فى عودة السيارة ، فلم يكن هناك سوى عدد من رجال الشُرطة ، وكان من الواضح أن السيارة لم تعد بعد ..

أسرعا يصعدان فى السُلَّم إلى منزلهما ، حيث وجدا اللواء (مندور) ، فأسرعا يصافحانه ، واستقبلهما هو باسمًا ، وأجلسهما إلى جواره ، قائلًا :

ـــ ها هى ذى مهمة جديدة تحتاج إلى عبقريتكما ، أيها الشرطيان الصغيران .

سألته (عُلا) فى لهفة واهتمام :

ـــ ما الذى توصَّلتم إليه حتى الآن يا سيِّدى ؟

هزَّ اللواء رأسه أسفًا ، وقال :

ـــ لا شىء ـــ للأسف ـــ يا صغيرتى .. لقـــد توصَّلنا إلى بعض نقاط ، ولكنها لم تحل اللُغز بعد .

سأله (عماد) فى اهتمام :

ـــ مثل ماذا ؟

صمت اللواء (مندور) لحظة ، ثم قال :

ـــ الشخص الوحيد الذى أدلى بشهادة مفيدة هو البوَّاب ، فهو يقول : إنه قد استيقظ فى الثالثة صباحًا على صوت ، خُيِّلَ إليه أنه لمحرِّك سيارة ، وقبل أن يغادر فراشه لاستطلاع الأمر ، توقَّفَ صوت المحرِّك ، فعاد يكمل نومه دون أن يلقى نظرة خارجًا .

قالت (عُلا) فى دهشة :

ـــ هذا يعنى أن محرِّك السيارة ، دار لمدة لا تزيد على الدقيقة الواحدة !!

وافقها اللواء (مندور) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـــ بالضبط يا صغيرتى ، وهـذا الـوقت لايكفى لسرقة السيارة ، وإبعادها عن الحىّ تمامًا .

سأله (عماد) :

ـــ ألَمْ يشاهد أحد السيارة وهى تغادر الحىّ ؟

قال اللواء (مندور) :

ـــ مطلقًا .. حتى أن بوَّاب الڤيلاّ التى تقع على ناصية الطريق ، كان ساهرًا أمس ، وقال : إنه لم يشهد أحدًا منذ منتصف الليل سوى جاركم السيِّد (فهيم) ، فقد عاد إلى منزله فى الواحدة صباحًا .

سأله العقيد (خيرى) متعجِّبًا :

ـــ من هو (فهيم) هذا ؟.. إننى لم أسمع عن جار لنا يدعى كذلك !!

أسرعت (عُلا) تجيب والدها ، قائلةً :

ـــ إنه جارنا الجديد يا والدى ، مستأجر الشقة المفروشة المقابلة لمنزلنا .. صاحب السيارة ذات الغطاء صارخ اللون .

قال الوالد ، وهو يمطّ شفتيه فى تأفف واضح :

ـــ آه !! ذلك الغطاء صارخ اللون .. إنه يثير أعصابى كلما وقع بصرى عليه ..

ضحكت (عُلا) ، وقالت :

ـــ ولكننا اعتدنا رؤيته ، حتى أننى سأصاب بالدهشة ، إذا ماغادر الأستاذ (فهيم) حيِّنا ، واختفت سيارته بغطائها الصارخ اللون .

قال اللواء (مندور) قاطعًا الحديث :

ـــ دعونا من الأستاذ (فهيم) وسيَّارته ذات الغطاء الملوَّن ، ولنفكِّر معًا فى حلٍّ لغز تلك السيارة المسروقة .

قال (عماد) بعد فترة من التفكير :

ـــ لن يمكننا تفسير الأمر بهذه السرعة يا سيادة اللواء ، إننا نحتاج أنا وشقيقتى إلى وقت كاف للتفكير فى الأمر .

ابتسم اللواء (مندور) ، وقال وهو ينهض :

ـــ حسنًا .. سأترك الليل بطوله لفريق (ع × ٢) للتفكير ، على حين أقوم أنا بعمل بعض التحرِّيات اللازمة ، وإنهاء الإجراءات .

واتسعت ابتسامته وهو يتأمَّل الصغيرين ، مردفًا :

ـــ ومن يدرى ؟.. ربما حقَّق فريق (ع × ٢) نصرًا جديدًا هذه المرة أيضًا ، وأوقع بذلك اللص السخيف .

★ ★ ★

٢ ـــ مهمَّة ليلية ..

جلس (عماد) و (عُلا) فى شرفة حجرتهما هذه الليلة ، وقد عجزا عن جلب النوم إلى عيونهما الصغيرة ...

كان الصمت يلفُّهما ، وهما يفكران فى حلِّ اللُّغز ، ويقلِّبان المعلومات الضئيلة لديهما على كل الوجوه ، ومرَّت فترة طويلة من الصمت ، قبل أن تقول (عُلا) فى ضيق واضح :

ـــ يا للأستاذ (فهيم) !! إنه يتعمَّد إثارة أعصابنا أكثر مما لدينا .

سألها (عماد) فى دهشة :

ـــ وما علاقة الأستاذ (فهيم) بالأمر ؟

أجابته فى حدَّة :

ـــ إنه لم يغادر المكان بسيارته طوال اليوم ، وقد تركها مغطَّاة بذلك الغطاء الصارخ الألوان .

ضحك (عماد) ، وهو يقول :

ـــ دَعْك مِن المماحكة .. إن الأستاذ (فهيم) قلَّما يستخدم سيارته ، وهى تقف هناك بغطائها طول الوقت تقريبًا ، ولكن عدم توصُّلك إلى الحلِّ ، هو ما يثير أعصابك ، وليس غطاء السيارة .. إنك تختفين خلف هذه الحجة .

حَدَجَتْه بنظرة غاضبة ، وعادت تلُوذ بالصمت ، فقال هو فى اهتمام :

ـــ دَعِينا نبحث الأمر فى هدوء يا (عُلا)، إن أقوال الشاهد الوحيد عن الحادث ، تؤكد أن محرِّك سيارتنا لم يدر أكثر من دقيقة .. فماذا يعنى هذا ؟

أسندت رأسها الصغير إلى ساعديها ، اللَّذين توسَّدا حاجز الشُّرفة ، وغمغمت .

ـــ ربما جذبها اللِّص خلفه بواسطة سيارة أخرى .

هزَّ (عماد) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ هذا لا يبدو لى منطقيًّا ، فلو حدث ذلك ،

لسمع بوَّاب العمارة صوت السيارة الأخرى على الأقل

قالت (عُلا) فى سخط :

ـــ هل تبخَّرت إذن ؟.. هناك ثلاث سيارات أخرى من نفس طرازها فى الحىّ ، لماذا اختار السارق سيارتنا بالذات ؟

عقد (عماد) حاجبيه الصغيرين ، وقال :

ـــ ليس هذا وقت مناقشة سبب اختياره لسيارتنا .. إنه القدر ، كان من الممكن أن يسرق سيارة الأستاذ (حسين) ، أو سيارة الأستاذ (فتحى) .. أو ....

وفجأة توقَّف (عماد) عن متابعة الحديث ، وغمغم فى لهجة ذات مغزى :

ـــ يا إلٰهى !! إن السيارة لم تغادر الحىَّ .

استدارت إليه (عُلا) فى حِدَّة ، وسألته فى انفعال :

ـــ لَمْ تغادر الحىَّ ؟!.. فيمَ تفكِّر يا (عماد) ؟

أجابها وهو يطلُّ على الحىّ من الشُّرفة فى اهتمام :

ــ أفكّر فى أن الأستاذ (حسين) يبدّل سيارته كثيرًا ، وأنه يمتلك (جراجًا) خاصًّا أسفل منزله .

تألّقت فى عينيها نظرة حماسيَّة ، وهتفت :

ــ يا إلٰهى !! لقد فهمت ما تقصده يا (عماد) ، هل نخبر والدنا ، أو سيادة اللواء (مندور) باستنتاجنا ؟

عاد يتأمَّل الحىّ ، وهو يقول فى هدوء وثقة :

ــ ليس قبل أن نتأكّد مما توصّلنا إليه يا (عُلا) .

سألته فى دهشة :

ــ وكيف يمكننا هذا ؟

أجابها فى هدوء :

ــ لابدَّ لنا من القيام بمهمة ليلية .. مهمة سرِّية للغاية .

★ ★ ★

كانت عقارب الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بقليل ، عندما تسلَّل (عماد) و (عُلا) من منزلهما ، دون أن يشعر والدهما ..

كانت (علا) تسير خلف (عماد) فى هدوء ، وهى تقول فى صوت خافت :

ــ سيغضب والدنا إذا علم بما نفعل .

همس (عماد) ، وهو يقترب من الجراج الخاص بالأستاذ (حسين) :

ــ لابدَّ لنا من التأكُّد أوَّلًا ، وإلا سخِرَ الجميع من استنتاجنا هذا .

حرّكت (عُلا) رأسها ، وهى تقول فى أسف :

ــ لن يمكنك أن تتصوَّر كيف سأصاب بخيبة الأمل ، لو صحّ استنتاجنا .

استدار إليها (عماد) فى دهشة ، فأردفت :

ــ الإنسان يعتاد جيرانه ، حتى ليدهشه أن يخالفوا الصورة التى اعتادها .

توقَّف (عماد) فجأة ، وارتفع حاجباه فى شكل عجيب ، ثم لم يلبث أن قبض علَى ذراع أخته فى قوة ، وهتف :

ــ يا إلٰهى !!.. لقد وضَّحت عبارتك الأمر بأكمله يا (عُلا) .

سألته (عُلا) فى لهفة :

ــ ماذا وضَّحت عبارتى يا (عماد) ؟

قال (عماد) فى لهجة تنمّ عن السعادة :

ــ لصُّ السيارات هذا ذكى للغاية ، ولكنه لم ينجح فى خداع فريق (ع×٢) .

ثم أشار إلى مكان ما ، وقال :

ــ إن سيارتنا هناك يا (عُلا) :

تطلَّعت (عُلا) إلى حيث أشار فى دهشة ، ثم لم تلبث أن فهمت كل شىء بدورها ، فهتفت :

ــ يا إلٰهى !! هذا صحيح .. لقد فهمت الأمر كله .

وفجأة سمعا من خلفهما صوتًا أجشَّ ، يقول فى شراسة :

ــ الآن تذكَّرت أين رأيتكما من قبل .

استدارا إلى مصدر الصوت فى فزع ، فطالعتهما عيون تنطق بالشَّرّ ، استطرد صاحبها قائلًا :

ــ أنتما الطفلان اللذان يعاونان الشُّرطة .. مرحَى يا صغيرىَ ، إنها مهمتكما الأخيرة .

★ ★ ★

٣ ــ اختطاف ..

ساد الصمت لحظة بعد عبارة صاحب العينين الشريرتين ، ثم استجمع (عماد) شجاعته ، وقال :

ــ لقد كشفنا لعبتك يا لصَ السيارات .. لقد وقعت .

ضحك الرجل فى سخرية وشراسة ، وقال :

ــ ليس بعد يا صغيرى ، هذا يفوق عمرك كثيرًا .

وفجأة انتزع الرجل من سترته مُدْيةً ، شهرها فى وجه الصغيرين ، وهو يقول :

ــ لن يجد أحدكما ما يكفى من الوقت لإخبار الآخرين .

كانت عينا الرجل تنطقان بالشَّر ، ولكن (عماد) و (عُلا) لم يخافاه ، بل هتف (عماد) وهو يتحرَّك فجأة :

ــ اجرى يا (عُلا) .. حاولى إبلاغ والدنا .

أطلقت (عُلا) ساقيها للرياح ، على حين تجاهلها الرجل ، وقفز نحو (عماد) ، الذى انزلق بين ساقيه ، وأخذ يجرى فى اتجاه مضاد لأخته ..

تساءلت (عُلا) فى دهشة عن عدم متابعة الرجل لها ، خاصَّة وأنها تعدُو نحو المنزل ، ولكن تساؤلها لم يطل ؟ إذ وجدت نفسها فجأة بين ذراعيْن قويتيْن ، وسمعت صوتًا غريبًا ساخرًا يقول :

ــ إلى أين أيتها الصغيرة ؟

صرخت (عُلا) بكل قوتها ، وهى تقاوم الرجل الضخم بجسدها الصغير ، ولكن الرجل أغلق فمها بكفِّه فى قوة ، فى نفس الوقت الذى كان فيه الرجل الآخر يطارد (عماد) فى شراسة ..

دار (عماد) حول إحدى السيارات ، وقفز محاولًا الاختباء خلف أخرى ، ولكن الرجل أمسك بعنقه فى اللحظة ذاتها ، ثم صفعه فى قوة ارتـــجَّ لها جسده الصغير ..

أطلقت (عُلا) ساقيها للرياح ، على حين تجاهلها الرجل ، وقفز نحو (عماد) الذى انزلق بين ساقيه ..

صرخ (عماد) :

ــ أيها المتوحش .

ولكن الرجل أطبق براحتيه على عنق (عماد) فى قسوة ، وشعر بطلنا الصغير بحاجته الشديدة إلى الهواء ، واختقن وجهه وهو يحاول مقاومة الاختناق ، ولكن الرجل هوَى على عنقه بضربة قاسية ، أفقدت (عماد) وعيه ..

جحظت عينا (عُلا) وهى ترى الرجل يحمل شقيقها إلى إحْدِى السيارات ، فينزع غطاءها ، ويلقى (عماد) داخلها فى قسوة ، ثم يلتفت إلى الرجل الذى يشلّ حركتها ، ويقول فى صرامة :

ــ أحضر الفتاة أيضًا ..

أطبقت (عُلا) بأسنانها على يد الرجل الضخم ، الذى صرخ بقوة ، فأفلتت من يده على الرغم منه ، وانطلقت تجرى نحو منزلها ، دون أن تلتفت وراءها ، وارتجف قلبها وهى تسمع صوت سيارة تنطلق مبتعدة ،

ولكنها لم تتوقَّف ، وواصلت عدْوها إلى المنزل ، حيث أخذت تصعد فى سُلَّم منزلها فى فزع وسرعة ، وهى تصرخ باسم (عماد) فى لوعة وأسى ..

وفجأة وجدت نفسها بين ذراعى رجل آخر ، فأطلقت صرخة مدوِّية ، وغابت عن الوعى .

* * *

انطلقت السيارة التى اختطفت (عماد) وسط شوارع القاهرة الخالية ، فى مثل هذا الوقت المتأخِّر ، وبدأ هو فى استعادة وعيه ، عندما كانت السيارة تعبر جسرًا صغيرًا ، فى منطقة شبه مهجورة ..

تساءل (عماد) فى البداية عمَّا حدث ، ثم لم يلبث أن تذكَّر كل شىء ، فتظاهر بأنه لم يستعد وعيه بعد ، وفرَّج جفنيه قليلًا ، يتأمَّل الطريق الذى تسير فيه السيارة ..

كان المكان غير مألوف له ، وتنمّ معالمه عن أنه يقبع فى إحدى الضواحى البعيدة فى أطراف المدينة ، ولما

كشف (عماد) عجزه عن معرفة المكان ، عاد يغلق عينه ، ويصغى لحديث الرجلين ، اللذيْن اختطفاه ..

كان أحدهما يقول للآخر :

ــ ستقصُّ عليهم الفتاة كل شىء أيها الزعيم .

قال الرجل الذى يدعونه بالزعيم :

ــ لتقصُّ ما يحلو لها .. ليس لديها دليلٌ واحدٌ .

شعر (عماد) بالارتياح وهو يستمع إلى هذا الحديث ، فقد تبيَّن منه أن شقيقته قد نجت من مخالب هذين الوغدين ، وعاد يصغى إلى حديث الرجلين ، فقد كان الرجل الضخم يقول :

ــ لن يمكنك العودة أيها الزعيم .. أليس كذلك ؟

بدا صوت الزعيم ساخرًا وهو يجيبه :

ــ ولِمَ لا ؟! .. إن عدم عودتى هو إقرار بالذنب ، واعتراف بالجريمة .

قال الرجل الضخم فى ارتباك :

ــ ستعود إذن ؟

أجابه الزعيم فى ثقة :

ــ بالطبع يا (مدبولى) .. سأعود إليهم ، ولن يجرؤ أحدهم على اتهامى ، حتى ولو تحدّثت تلك الصغيرة المأفونة .

التقط (عماد) هذه المعلومة الجديدة ، واحتفظ بها فى ذاكرته ..

إذن فالرجل الضخم يدعى (مدبولى) ، وهو يعرف الزعيم جيّدًا ..

لقد كان استنتاجه سليمًا .. إنه يعرف الآن كيف اختفت سيارتهم ..

توقّفت السيارة أمام مبنى قديم شبه متهالك ، وقال الزعيم ، وهو يشير إلى المقعد الخلفى للسيارة ، حيث وضعوا (عماد) المتظاهر بفقدان الوعى :

ــ احتفظ بالصَّبىّ هنا ، حتى أرى ماذا يكون بشأن الفتاة .

سأله (مدبولى) بلهجة رجل اعتاد الإجرام :

ــ هل نتخلّص منه ؟

صمت الزعيم لحظة ، وكأنه يفكّر فى الأمر ، ثم قال :

ــ احتفظ به فقط ، حتى أقرّر ما يكون بشأنه .

فتح (مدبولى) باب السيارة المجاورة له ، ثم دار حولها ، وفتح الباب المجاور لـ (عماد) ، وجذبه إلى الخارج ..

كانت هذه هى الفرصة التى ينتظرها (عماد) ؛ فلم يكد (مدبولى) يفتح باب السيارة ، ويجذبه إليه ، حتى قفز (عماد) فجأة من بين ذراعيه ، وانطلق يجرى مبتعدًا عن السيارة ..

صرخ الزعيم فى ذعر :

ــ إلحق بهذا الشيطان الصغير يا (مدبولى) ، لو أمكنه الهرب فسينتهى كل شىء ، فقد عرف مخبأنا .

انتزع (مدبولى) مُدْيتَه ، وانطلق يعدُو خلف (عماد) فى وحشية وإصرار ، على حين أشعل الزعيم سيجارة ، نفث دخانها فى الهواء ، وقال فى عصبية :

ـــ هذا الطفل الغبىّ يضيع وقتنا بمحاولته السخيفة هذه ، ولن يمكننى الانتظار طويلًا ، وإلا ضاعت الخُطَّة التى أعدَدْتها .

عاد ينفث دخان سيجارته فى عصبيَّة ، وهو يرقب (مدبولى) ، الذى اختفى خلف كومة من إطارات السيارات خلف (عماد) ..

كان (عماد) يعدُو بكل ما تملكه ساقاه الصغيرتان من قوة .. كان الخوف يدفعه إلى إطلاق ساقيه للرياح .. على حين انطلق (مدبولى) خلفه فى شراسة وإصرار ..

لمح (عماد) حقلًا قريبًا ارتفعت فيه سنابل القمح ، فأسرع نحوه ، وقد وجد فى سنابله المتقاربة الكثيفة مخبأً مثاليًا ..

كانت ساقا (مدبولى) أقوى وأكبر ، وخطواته أوسع ، وأخذت المسافة بينه وبين (عماد) تقصر تدريجيًا ، حتى كادت كفَّه تقبض على عنق (عماد) ..

جمع (عماد) كل ما تبقَّى له من قوة فى جسده

الصغير ، وقفز داخل حقل القمح ، ثم لم يلبث أن توارى وسط سنابله الكثيفة ..

توقَّف (مدبولى) لحظة فى تردُّد ، وعقد حاجبيه الغليظين ، وهو يغمغم فى شراسة :

ـــ يا للشيطان الصغير !!

حاول أن يبحث ببصره عن (عماد) وسط سنابل القمح .. ولكن الظلام منعه إجادة الرؤية ، فجعل يصرف على أسنانه فى غيظ ..

حبس (عماد) أنفاسه ، وتسارعت نبضات قلبه الصغير فى عنف ، وهو يحاول ألا يحرِّك ساكنًا ، حتى لا ينتبه (مدبولى) لوجوده ..

لم يكن يدرى أين يمكنه أن يذهب إذا ما نجح فى الهرب ، فقد كانت المنطقة غريبة تمامًا بالنسبة إليه ، وحاول أن يطرد هذه الأفكار من ذهنه ، عندما سمع صوت خطوات (مدبولى) ، وهو يقتحم حقل القمح ، ويطأ سنابله فى لا مبالاة بحثًا عنه ..

حاول أن يبحث ببصره عن (عماد) وسط سنابل القمح ..

كاد قلب (عماد) يتوقَّف ، عندما خطا (مدبولى) على بعد سنتيمترات قليلة منه ، ثم توقَّف فى مواجهته تمامًا وهو يبحث عنه فى الاتجاه المضاد ..

شعر (عماد) بخوف شديد ، فلو استدار (مدبولى) نصف دورة فقط ، لوقع بصره عليه ..

كان كل ما يتمنَّاه (عماد) فى هذه اللحظة ، هو ألَّا يصدر صوتًا يجذب انتباه (مدبولى) ..

تصلَّب كالتمثال ، وعيناه معلَّقتان بالرجل ، وفجأة شعر بجسدٍ دافئ زلق يزحف فوق كفّه ، فارتجف جسده ، واتسعت عيناه ذعرًا وهو يميل برأسه ينظر إلى ذلك الشىء وكاد قلبه يتوقَّف حينما رآه ، فقد كان ذلك الشىء حيَّة من النوع السَّامّ .

* * *

٤ ــ المجـــرم ..

تجمَّدت أطراف (عماد) ، وشعر أن الدماء قد فارقت جسده وهو ينظر إلى الحيَّة فى فزع .. كانت الحيَّة تزحف فى هدوء فوق كفّه ، وتذكَّر هو فى هذه اللحظة ما قرأه ذات مرة ، فى واحدة من القصص البوليسية التى يعشقها .. كانت هناك معلومة تقول : إن الثعابين لا تهاجم ، وتنفث سُمّها إلا عند الشعور بالخطر ..

إنه يذكر أن بطل الرواية البوليسية التى قرأها قد تعَرض لموقف مشابه ، فتسمَّر فى مكانه ، وحرص على ألّا تبدرَ منه أيَّة حركة ، حتى ابتعد الثعبان عنه دون أن يؤذيه ..

تساءل فى قرارة نفسه : لِمَ لا يتبع الأسلوب نفسه ؟ فكتم أنفاسه ، وظلَّ ساكنًا يراقب الحيَّة ، وذيلها يزحف

فوق كفّه فى هدوء حتى تجاوزته ، وأخذت تزحف فوق أرض الحقل مبتعدة عنه ، ومتوارية وسط السنابل الصفراء .

ظل (عماد) كاتمًا أنفاسه حتى ابتعد صوت زحف الأفعى ، فاطمأنَّ إلى نجاته ، وتنهَّد فى ارتياح ..

كان هذا هو الخطأ الذى ارتكبه ، إذ وصل صوت التنهيدة إلى (مدبولى) ، الذى استدار فى حدَّة ، ورأى (عماد) ، فقفز نحوه فى حركة خاطفة ، وأحاط جسده الصغير بذراعيه ..

وحاول (عماد) أن يقاومه فى يأس ، وهو يصرخ :

ــ أيها المجرم .. أيها المتوحِّش .

أطلق (مدبولى) ضحكة ساخرة ، وهو يسرع به إلى حيث وقف الزعيم ينتظر ، ولم يكد هذا الأخير يلمح (مدبولى) عائدًا بحمله الثمين ، حتى تنهَّد فى ارتياح ، وقال :

وصل صوت التنهيدة إلى (مدبولى) ، الذى استدار فى حدَّة ، ورأى (عماد) فقفز نحوه فى حركة خاطفة ، وأحاط جسده الصغير بذراعيه ..

— ضعه فى المخزن ، ولا تسمح له بتكرار محاولته ..

وضع (مدبولى) (عماد) داخل المخزن فى قسوة ، ثم أغلق بابه ، ووضع فوقه قفلًا ضخمًا ، واستدار إلى زعيمه متسائلًا :

— أما زلت تصرُّ على العودة أيها الزعيم ؟

ابتسم الزعيم فى ثقة ، وقال :

— بلا شك يا (مدبولى) .

سأله (مدبولى) وهو يشير إلى المخزن :

— وماذا عن الصَّبىّ ؟

ركب الزعيم سيارته ، وقال فى هدوء :

— احتفظ به حتى أعود ، ثم اقتله .

* * *

استعادت (عُلا) وعيها فى بطء ، وتطلَّعت حولها فى دهشة ..

كانت ترقد فى ردهة منزلها ، وقد امتلأ المكان حولها برجال الشرطة ، ميَّزت وسطهم والدها ، واللواء (مندور) ، الذى سألها فى هدوء :

ـــ حمدًا لله على استعادتك وعيك يا صغيرتى .. أين (عماد) ؟

انفجرت (عُلا) بالبكاء ، وهى تصرخ قائلةً :

ـــ لقد اختطفه المجرمون ، خطفه لصّ السيَّارات .

صاح والدها ، واللواء (مندور) فى دهشة :

ـــ لصّ السيَّارات ؟!

أرادت أن تشرح الأمر ، لولا أن سألها والدها فى حِدَّة :

ـــ ماذا كنتما تفعلان خارج المنزل فى مثل هذا الوقت ؟

صاحت فى حزن وسرعة :

ـــ كنا نحاول البحث عن إثبات لاستنتاجنا ، حينما هاجمنا المجرم ، واختطف (عماد) ، وحاول أحد رجاله اختطافى أيضًا ، ولكننى نجحت فى الإفلات ، وأسرعت إلى هنا ، ولكن أحدهم اعترضنى و .....

قاطعها الوالد ، قائلًا :

ـــ إنه أنا يا (عُلا) .. لقد سمعت صراخك من الشارع ، فقفزت من فراشى ، وأسرعت إلى هناك ، وفى أثناء هبوطى درجات السُّلَّم ، وجدتك تصعدين فى فزع ، فأخذتك بين ذراعىّ ، وإذا بك تفقدين الوعْىَ .

انخرطت الوالدة فجأة فى بكائها ، وهى تغمغم فى لوعة :

ـــ اختطفوا ابنى ، يا ويلتاه !!

شعر رجال الشُّرطة بالأسف ، وعقد اللواء (مندور) حاجبيه ، وقال :

ـــ سيعود يا سيِّدتى .. أقسم لك .

ثم التفت إلى (عُلا) وسألها :

ـــ تقولين : إنك قد هبطت أنت وشقيقك ، لإثبات صحة استنتاجكما .. فهل توصَّلتما إلى شخصية لصّ السيَّارات ؟

هتفت (عُلا) فى انفعال :

— نعم يا سيِّدى .. لقد توصَّلنا إليه ، ولا ريب أنه سيعود إلى هنا بسيارته ، حتى لا يُعدَّ هروبه اعترافًا بجريمته .

صاح أحد رجال الشرطة فى حماس :

— يا إلٰهى !! هذا صحيح .. لقد عاد السيِّد (حسين) جارِكم بسيارته منذ دقائق ، ولقد أدهشنى هذا حقًا ، فلقد تجاوزنا الفجر ببضع لحظات فقط .

التقت عينا اللواء (مندور) بعينى العقيد (خيرى) ، ثم هتف الأخير :

— لقد فهمت .. إن جارنا (حسين) هو السارق ، إنه يسرق السيَّارات ، ويحتفظ بها فى جراج ڤيلَّته .. يا له من ماكر !!

هتفت (عُلا) فى استنكار :

— كلَّا يا والدى .. هذا ما ظنناه فى البداية ، ثم كشفنا أن السيارة لا تختفى داخل الجراج ، وإنما ....

بتر عبارتها صوت جاء من ناحية باب المنزل ، يقول فى هدوء :

— صباح الخير أيها السادة ، هل يزعجكم قدومى فى هذا الوقت المبكِّر ؟

التفت الجميع إلى باب المنزل يتطلَّعون إلى الرجل الواقف هناك ، على حين ظهر الغضب فى عينى (عُلا) ، وأشارت إلى الرجل فى انفعال وهى تهتف :

— ها هو ذا .

تطلَّع الجميع إلى الرجل الذى شاركهم دهشتهم ، وسألها والدها :

— ماذا تعنين يا (عُلا) ؟

صاحت (عُلا) فى إصرار :

— هذا هو المجرم الذى سرق سيارتنا ، واختطف أخى (عماد) .

* * *

٥ ــ الاتهـــام ..

ساد صمت مشُوب بالدهشة والغضب ، والتقت كل العيون عند الرجل الواقف بالباب ، الذى قطع حبل الصمت ، قائلاً فى غضب :

ــ ماذا تقولين أيتها الصغيرة ؟ هذا ينمّ عن سوء الخلق .

صاحت (عُلا) فى عناد :

ــ لست سيِّئة الخلــق ، أنت المجرم يا سيِّـــد (فهيم) .

صاح الوالد فى دهشة :

ــ (فهيم) ؟!

ثم اقترب من الرجل ، وسأله فى حدَّة :

ــ أنت صاحب تلك السيارة ذات الغطاء الزاهى الألوان ؟!

أجابه الرجل فى ضيق :

ــ كنت صاحبها .

غمغم اللواء (مندور) فى دهشة ، وتساؤل :

ــ كنت ؟!

أجابه الأستاذ (فهيم) فى غضب :

ــ نعم يا سيادة اللـواء ، كنت صاحبها ، فلقـد حضرت فى هذا الوقت المبكِّر ؛ لأننى شاهدت سيارات الشرطة تملأ الشارع ..

ثم استطرد ، وهو يحدج (عُلا) بنظرة ساخطة :

ــ حضرت أبلِّغ عن سرقة سيَّارتى .

صاحت (عُلا) فى غضب ، وإصرار :

ــ أنت كاذب .

التفت الأستـاذ (فهيم) إلى العقيـد (خيرى) ، وقال فى غضب :

ــ مُرِ ابنتك بالتزام الصمت يا سيادة العقيد ، فلن أحتمل إهاناتها طويلاً .

نظر العقيد (خيرى) فى عينيه مباشرة ، وقال فى صرامة :

ــ إنها تتهمك بسرقة سيارتنا ، واختطاف ابنى يا سيِّد (فهيم) .

لوَّح (فهيم) بكفِّه ، قائلًا :

ــ هراء .

اندفعت (عُلا) تقول فى غضب :

ــ ليس هراءً يا سيِّد (فهيم) ، لقد قال بوَّاب العمارة : إنه سمع صوت محرِّك سيارتنا يدور دقيقة واحدة ، ثم لم يلبث أن توقَّف ، وهذا يعنى أن سيارتنا لم تتحرَّك إلا دقيقة واحدة ، وهذا الوقت لا يكفى لأن تغادر السيارة الحىَّ ، ولكنه يكفى لإخفائها .

ابتسم (فهيم) فى سخرية ، وقال :

ــ وكيف يمكننى أن أخفيها خلال دقيقة واحدة يا صغيرتى ؟.. فى حقيبتى ؟

صاحت (عُلا) :

ــ كلَّا يا سيِّد (فهيم) ، ولكن يمكنك أن تخفيها أسفل غطاء سيارتك الزاهى الألوان .

ارتسمت الدهشة فى وجوه الحاضرين ، وغمغم (فهيم) فى سخط :

ــ ما هذه السخافة ؟

استدارت (عُلا) إلى والدها واللواء (مندور) ، وقالت فى انفعال :

ــ لقد تعمَّد الأستاذ (فهيم) اختيار ذلك الغطاء الصَّارخ الألوان لسيارته ، ثم تعمَّد تركها أمام أعين الجميع معظم الوقت ، وهكذا حقق هدفين فى آن واحد .. فسيارته تحت غطائها ستكون مميَّزة للغاية ، ولكن تلك الألوان الزاهية ستصبح مألوفة مع الوقت .. وهكذا اعتاد الجميع رؤية السيارة واقفة بغطائها الصارخ ، فلم تعد تلفت انتباه أحد .. ولقد عاد الأستاذ (فهيم) بدون سيارته ليلة السرقة ، بدليل أن بوَّاب القيلًا عند ناصية الحىَّ تعرَّفه بسهولة .

غمغم (فهيم) فى غضب :

ــ هذا لا يثبت شيئًا .. من حقّ أى إنسان أن يجُولَ على قدميه .

صاحت (عُلا) :

ــ بل يثبت الكثير يا سيِّد (فهيم) .. لقد عُدْتَ بدون سيارتك ؛ لأنك كنت تنوى سرقة سيارتنا فى الليلة نفسها .

هتف الوالد :

ــ ماذا تقولين يا (عُلا) ؟

استدارت (عُلا) إلى والدها ، وقالت :

ــ تذكَّر يا والدى أن سيارته كانت تحت غطائها الزاهى الألوان صباح الحادث ، فمتى وصلت إذا كان قد عاد بدونها .. إن تلك السيارة التى تغطَّت بالغطاء الصارخ يومها كانت سيارتنا لا سيارته .

صاح اللواء (مندور) :

ــ يا إلٰهى !! لقد فهمت كل شىء .

ثم التفت إلى العقيد (خيرى) ، متابعًا :

ــ ولداك عبقريان بالفعل يا سيادة العقيد ، إن (عُلا) تقصد أن السيِّد (فهيم) قد عاد هذه الليلة ، تاركًا سيارته فى مكان آخر ، وانتظر حتى الثالثة صباحًا حيث يخلو الشارع من المارة ، ثم تسلَّل إلى سيارتك ، وفتحها بتلك الوسائل المعروفة فى عالم اللصوص ، ربما باستخدام مفتاح مُقلَّد أو بتحطيم قفلها ، وأوصل سلكى المحرِّك ، وأداره ليقود السيارة مدة دقيقة واحدة ، من حيث تقف إلى حيث اعتاد ترك سيارته فى الليل ، وهناك وضع فوق سيارتك غطاء سيَّارته المميَّز ، وتركها وصعد إلى شقته لينام ملء جفنيه .. ولمَّا كان منظر سيارته المغطَّاة بغطاء زاهى الألوان قد صار مألوفًا ، فإن أحدًا لن يحاول البحث عن سيارتك تحت نفس الغطاء .

صاح العقيد (خيرى) فى دهشة :

ــ يالها من فكرة ، تجمع بين البساطة والجرأة !!

مطَّ اللواء (مندور) شفتيه ، وقال :

ـــ ولكن الله (سبحانه وتعالى) يقف لأمثال هذا المجرم بالمرصاد ، فعلى الرغم من ذكاء الفكرة نجح ولداك فى كشفها .

قال (فهيم) فى غضب :

ـــ ماذا أصاب العالم ؟.. أتيت أبلِّغ عن سرقة سيارتى ، فتتَّهمونني بالسرقة ، وبدون دليل واحد !!

ساد الصمت فجأة فى الحجرة ، وكشف الجميع أنهم لا يملكون دليلًا واحدًا يدين (فهيم) ، وفى نفس الوقت صاحت الأم ودموعها تملأ خدَّيها :

ـــ أنا لا أريد السيارة ، أريد ابنى المخطوف .

برقت عينا اللواء (مندور) ، وكأنه تنبَّه إلى نقطة ما ، فالتفت إلى (عُلا) وسألها فى اهتمام واضح :

ـــ هل رأيت وجه الرجل الذى اختطف شقيقك يا (عُلا) ؟

تردَّدت (عُلا) لحظة ، وقالت :

ـــ لقد كان الشارع مظلمًا ، ولكننى أعتق
أنه ....

قاطعها (فهيم) صائحًا :

ـــ تعتقدين ؟!.. هل تتَّهمون الناس لمجرَّد أن طفل
صغيرة تعتقد شيئًا ما ؟

غمغم العقيد (خيرى) فى أسف :

ـــ هذا صحيح .. ثم إنه لابدَّ لنا من استجواب
الأستاذ (حسين) أيضًا .

التفت اللواء (مندور) إلى أحد رجال الشُّرطة
وقال :

ـــ أحضر السيِّد (حسين) .

ضربت (عُلا) الأرض بقدميها ، وقالت فى
غضب :

ـــ إنكم تضيعون وقتكم .. إنه هو المجرم .

صاح والدها فى استنكار :

ـــ (عُلا) .

عقدت حاجبيها الصغيرين فى غضب ، وأسرعت إلى حجرتها وشقيقها ، وأغلقت الباب خلفها فى قوة .

* * *

وقف الأستاذ (حسين) مرتبكًا أمام رجال الشُرطة ، وقال مجيبًا عن السؤال الذى وجَّهه إليه اللواء (مندور) :

ــ إننى محامٍ كما تعلمون ، ولقد اتصل بى عميل مجهول ، وطلب منّى مقابلته للضرورة القصوى ، وقال : إن الأمر بالغ الخطورة ، وإنه مسألة حياة أو موت ، فأسرعت لمقابلته فى المكان الذى حدَّده ، ولكنه لم يحضر ، فعدت إلى هنا .

سأله اللواء (مندور) :

ــ هل لديك شاهد على ما تقول ؟

هزَّ الرجل كتفيه ، وقال :

ــ زوجتى فقط ؛ إذ استيقظت معى على رنين الهاتف فى الثالثة صباحًا .

ضحك (فهيم) فى سخرية ، وقال :

ــ دَعْكَ من كل هذا الخداع يا سيِّد (حسين) ، لقد سرقت السيارة ، وأخفيتها فى جراج ڤيلّتك ، وعندما كشفها الصغيران اختطفت الصَّبىّ ، وذهبت به والسيارة إلى حيث تخفى مسروقاتك ، ثم عُدْت إلى هنا و ....

وفجأة قاطعه صوت صغير يقول :

ــ أنت كاذب يا سيِّد (فهيم) .

استدار الجميع إلى مصدر الصوت ، وتراجع (فهيم) فى ذهول ، على حين هتف الوالد واللواء (مندور) معًا فى دهشة :

ــ (عماد) ؟!

* * *

٦ ــ الهــروب ..

تطلَّع الجميع إلى (عماد) فى ذهول ، فقد كان يتقدَّم من (فهيم) ، على حين تراجع هذا الأخير وهو يهتف :

ــ هذا مستحيل .. مستحيل ..

قال (عماد) فى غضب :

ــ ما هو المستحيل ؟ هل تقصد نجاحى فى الهروب يا لصّ السيارات ؟

لم تتحرَّك الأم مطلقًا ، ولم تندفع نحو صغيرها كما كان مفروضًا ، بل اكتفت بالتحديق فى وجهه بدهشة ، على حين واصل (فهيم) تقهقره ، صائحًا :

ــ هذا مستحيل .. أنت تحتاج إلى ساعة كاملة للوصول إلى هنا و ....

وبتر عبارته فجأة ؛ فقد انتبه إلى زَلَّة لسانه ،

وتلفَّت حوله ليرى العيون كلها تحدِّق فى وجهه بغضب ، وسمع اللواء (مندور) يقول فى صرامة :

ــ هذا اعتراف صريح يا (فهيم) .

ظهر الذعر فى عينى (فهيم) ، وتحرَّكت يده نحو سترته فى سرعة ، وانتزع منها مسدسًا صوَّبه إلى رجال الشرطة صائحًا :

ــ إنكم لن تُوقعوا بى ، لن يُوقع بى طفلان .

قال اللواء (مندور) فى صرامة :

ــ إنَّ تصويب مسدس إلى رجال الشُّرطة ، جريمة لا تغتفر يا (فهيم) .

وفجأة تحرَّك أحد رجال الشرطة ، وركل المسدس الذى يمسك به (فهيم) ، ثم لكمه لكمة أوقعته أرضًا ، ولم يكد ينهض حتى رأى مسدسات الشُّرطة مصوَّبة إلى رأسه ، وسمع اللواء (مندور) يقول فى هدوء لا يخلو من الحزم :

ـــ هيًا يا لصّ السيّارات .. هأنذا أستمع إلى اعترافاتك التفصيلية .

* * *

أسرع الوالد نحو (عماد) ، وحمله بين ذراعيه ، وهو يهتف فى سعادة :

ـــ ولدى الحبيب .. كيف نجحت فى الهرب ؟.. هيًا قبّل والدتك ، فقد لوّعها غيابك .

قالت الأم فى هدوء :

ـــ هذا ليس (عمـــــاد) يا (خيرى) ، إنها (عُلا) .

حدّق الأب فى الصغيرة بدهشة ، ثم صاح :

ـــ يا إلهى !! إنها حقًا (عُلا) .. كيف فعلت ذلك ؟

ضحكت (عُلا) ، وقالت :

ـــ هل نسيت يا والدى أننى و (عماد) توءمان ؟.. لقد قصصت شعرى ، وصففته بنفس الطريقة التى يتبعها (عماد) ، فبدوت مثله تمامًا .

اتسعت عينا (فهيم) ذهولًا ، وغمغم فى سخط :

ـــ أنت لست ذلك الشيطان الصغير إذن .

ثم قفز من مقعده فجأة ، صارخًا :

ـــ يا للعار !!.. هل خدعتنى طفلة ؟!

واندفع نحو (عُلا) وقد أعماه الغضب ينشد الفتك بها ، ولكن والدها العقيد (خيرى) اعترض طريقه ، ولكمه لكمة قوية ألقت به أرضًا .. ثم احتضن ابنته فى حنان ، وقال فى صرامة :

ـــ من الأفضل لك أن تعترف بالهزيمة ، وتدلّنا على مكان (عماد) أيها اللّص الوضيع .

ظهر العناد على ملامح (فهيم) ، وقال :

ـــ مُحَال .. سيدفع الصغير ثمن فشلى .

صرخت الأم فى جزع .

أرجفت صرختها الملتاعة قلوب رجال الشُّرطة الحاضرين ، وساد صمت ثقيل فى الحجرة ، ثم اتّجه اللواء (مندور) إلى (فهيم) ، وأمسك كتفه فى قوة

آلمته ، حتى إنه تأوّه ، ثم لم يلبث أن ارتجف ذعرًا ، حينما قال اللواء (مندور) فى لهجة قاسية صارمة :

ــ اسمعنى جيّدًا أيها الحقير .. إن العقوبة القصوى لجريمة السرقة لا تتعدّى السجن لسنوات ثلاث ، أما لو أصاب الصغير مكروه ، فسأضمن لك أن تتدلّى من حبل المشنقة . أيهما تفضّل ؟.

شحب وجه (فهيم) بشدة ، وزال عناده أمام صرامة اللواء (مندور) ، وظهرت الحَيْرة فى ملامحه وهو يقول :

ــ ولكن (مدبولى) سيقتل الصَّبىّ ، لو كشف أننى قد وقعت .

تبادل رجال الشرطة النظرات ، ثم قال اللواء (مندور) فى لهجة بدت هادئة :

ــ دَعَ هذا الأمر لنا ، أخبرنا فقط أين أخفيت الصغير ، وسنتولّى نحن الأمر .

* * *

دار (عماد) فى أركان المخزن الذى سجنه فيه (مدبولى) ، وأخذ يتفحّص كل جزء فيه ..

كان المخزن واسع الأركان ، عالى الجدران ، خاليًا إلّا من بضعة إطارات مطّاطيّة ، ووعاء ملىء بالبنزين ، وبعض قطع متناثرة من أجزاء السيارات ، ولم يكن له إلا باب واحد ، ذلك الذى يجلس أمامه (مدبولى) ، ونافذة واحدة تعلُو ثلاثة أمتار على الأقل ..

وكانت هناك فكرة واحدة تلحُّ على رأس (عماد) ، وهى أنه لابدَّ أن يحاول الهرب ..

تلفّت حوله محاولًا البحث عن وسيلة ، حتى توقّفت عيناه عند وعاء الوقود ، فنقل بصره إلى الإطارات المطّاطيّة ، وقال :

ــ ليس أمامنا سوى إيجاد وسيلة لإشعال النار .

أسرع إلى وعاء الوقود ، فحمله فى صعوبة نظرًا لحجمه الضخم ، ثم سكبه فوق الإطارات المطّاطيّة ، والتقط قطعة مسطحة قديمة من الخشب ، وأنبوبًا معدنيًّا صغيرًا وهو يغمغم :

ـــ سأحاول إشعال النار بالطريقة التى تعلَّمناها فى دروس الكشافة .

أمسك الأنبوب المعدنى بين راحتيه ، ووضع طرفه على سطح القطعة الخشبية ، ثم أخذ يديره بين راحتيه فى قوة ، حتى بدأ الدُّخان يتصاعد من القطعة الخشبية نتيجة الاحتكاك ، فأسرع ينفخ فيه ، حتى اشتعلت النار فى قطعة الخشب ، فحملها فى حرص ، وألقاها على الإطارات المبلَّلة بالبنزين ..

لم تكد النيران تشم البنزين ، حتى دوّت فرقعة شديدة واندلع اللهب فى الإطارات المطَّاطيَّة ، وصرخ (عماد) بأعلى صوت :

ـــ النَّجدة .. النيران تشتعل .

وصلت عبارته إلى أذن (مدبولى) الذى كان قادمًا .. يهرول بعد أن سَكَّ مسامعه صوت الفرقعة ، فأسرع يفتح باب المخزن ، حتى يسرع بإطفاء النيران قبل أن تلتهمه ..

ولم يكد يفعل حتى مرق (عماد) من بين قدميه كالصاروخ ، وانطلق يجرى بسرعة البرق ..

صرخ (مدبولى) فى غضب ، حينما تبيَّن خدعة (عماد) ، ثم أخرج مسدسه ، وصوَّبه إلى (عماد) صائحًا :

ـــ سأقتلك أيها الشيطان الصغير .

ودوَّت فى المنطقة صوت طلقة رصاص .

★ ★ ★

٧ ــ المطــاردة ..

مرقت الرصاصة القاتلة فوق رأس (عماد) تمامًا ، وأثارت فى أعماقه مزيدًا من الخوف والفزع ، مما دفع ساقيه الصغيرتين للانطلاق فى سرعة مضاعفة ، وانطلق خلفه (مدبولى) ، وهو يسبُّ ساخطًا ، وارتفع صوته الغاضب يصرخ :

ــ سأقتلك أيها الشيطان الصغير .

ارتفع أزيز رصاصة ثانية ، إلى جوار أُذن (عماد) ، الذى دفعه الفزع إلى القفز جانبًا ، فارتطمت قدمه بإطار متهالك ، وفقد توازنه ، وسقط على وجهه وسط التراب الكثيف ..

قبل أن ينهض ليواصل هروبه ، أمسكت يد (مدبولى) القوية بعنقه ، وسمعه يقول فى غضب وخشونة :

ــ انتهت المطاردة أيها الوغد الصغير .. إنها محطّة الأخيرة .

دارت عينا (عماد) فى المكان بفزع ، بحثًا عن مهرب ، ولكن (مدبولى) انتزعه من مكانه فى قوة ، ودفعه أمامه فى قسوة ، وهو يقول :

ــ هل تظن أنك أذكى منّى ؟

قال (عماد) فى ضيق :

ــ وهل تحبّ أن تقارن نفسك بطفل مثلى ؟

أطلق (مدبولى) ضحكة ساخرة عصبية ، وقال :

ــ طفل مثلك ؟!.. إنها أول مرة أرى فيها طفلا عنيدًا ، تفوق جرأته حجمه عشرات المرات .

قال هذا ودفعه أمامه فى قوة ، فسقط (عماد) مرة أخرى على وجهه ، وسمع (مدبولى) يقول فى صرامة :

ــ انهض أيها الشيطان الصغير ، وإلا انتزعت فروة رأسك ، لأجبرك على النهوض .

شعر (عماد) بغضب شديد يسرى فى عروقه ، وقبض كفّه الصغيرة على حفنة من التراب ، ثم قفز واقفا على

قدميه، وقذف بها فى وجه (مدبولى) وعينيه ، فصرخ هذا الأخير فى ثورة :

ــ أيها الشيطان المخادع .

واندفع نحو (عماد) ، وقد قرَّر خنقه بيديه العاريتين ..

* * *

التفت العقيد (خيرى) إلى (فهيم) مرة أخرى ، وقال فى صوت قوى ، يجمع بين الصرامة والغضب :

ــ ألَمْ تقرِّر الاعتراف بعد أيها المجرم ؟

بدت حَيْرَة شديدة فى عينى (فهيم) ، وارتجف صوته ، وهو يقول :

ــ أنت لا تفهمنى أيها العقيد ، إننى لست زعيمًا فعليًا لهؤلاء الرجال ، كل ما فى الأمر هو أنهم تركوا لى مسئولية القيادة ، وهذا يختلف عن نظم الشرطة والجيش ، فهم لن يطيعوا أوامرى ، إذا ما أحسُّوا أنها تعرِّضهم للخطر .

وقبض كفّه الصغيرة على حفنة من التراب ، ثم قفز واقفًا على قدميه ، وقذف بها فى وجه (مدبولى) وعينيه ..

قال اللواء (مندور) فى حدَّة :

ــ إننا لا نطالبك بأن تطلب منهم التعاون معنا ، كل ما نريد معرفته هو مكان الصغير .

هتف (فهيم) فى حنق :

ــ مستحيل .. إنه ورقتى الوحيدة للنجاة .

جذبه اللواء (مندور) من سترته فى خشونة ، وقال فى صوت يفيض بالحزم والصرامة :

ــ اسمعنى جيِّدًا أيها المجرم الحقير .. لو أنك تتصوَّر أن احتفاظك بالصغير يمنحك الفرصة للنجاة ، فأنت واهم .. فنحن لن نسمح لك بالإفلات أبدًا .

امتقع وجه (فهيم) ، وحاول أن يبتسم ، ولكن ابتسامته بدت مضطربة شاحبة ، وهو يغمغم :

ــ إنكم لن تضحُّوا بالصغير .

صاح العقيد (خيرى) فى غضب :

ــ أيها الوغد الحقير ، لو أنك ....

أوقفه اللواء (مندور) بإشارة من يده ، ليمنعه من

مواصلة حديثه ، ثم انحنى بوجهه نحو (فهيم) ، وقال فى لهجة جمدت لها الدماء فى عروق هذا الأخير :

ــ أنت مخطئ أيها المجرم .. إننا رجال شرطة ، والواجب لدينا أمر مقدَّس ، لا يمكننا التنازل عنه أبدًا ، ولا وجود للمساومة أو تبادل المنفعة فى عملنا وعالمنا ، وفى سبيل هذا الواجب سنضحِّى بأى شىء .

سأله (فهيم) فى صوت مضطرب :

ــ حتى الصغير ؟

أجابه اللواء (مندور) فى حزم :

ــ حتى الصغير .

شحب وجه (فهيم) بشدَّة ، حتى كاد يصبح فى لون القطن الأبيض ، ولوَّح بكفَّيه فى الهواء ، وهو يقول :

ــ إنك لا تفهمنى .. كلكم لا تفهموننى .. لو أننى أخبرتكم بمكان الصغير ، فلن يعنى هذا نجاته ، فلو شعر (مدبولى) باقترابكم ، أو بأيَّة محاولة لإنقاذ الصغير ، فلن يتردَّد فى قتله ..

سقط قلب الأم بين قدميها ، وهى تغمغم فى لوعة وشحوب :

ــ ولدى !

ربَّت العقيد (خيرى) على كتفها ، وهو يدارى قلقه وحزنه الشديدين ، وكأنه يحاول أن يثبت فيها طمأنينة يفتقر هو نفسه إليها ، فى حين واصل (فهيم) حديثه المتوتِّر ، قائلًا :

ــ ثم إن الرجال لن يغفروا لى ذلك ، وسيعملون على قتلى انتقامًا من خيانتى لهم .

قال اللواء (مندور) فى صرامة :

ــ يمكننا حمايتك .

هتف (فهيم) فى عصبية :

ــ ليس إلى الأبد .

ثم أردف فى صوت أقرب إلى البكاء :

ــ أنتم لا تعرفون طبيعة هؤلاء الرجال .. إنهم لا يتنازلون عن انتقامهم أبدًا ، حتى ولو اضطروا

لانتظار خروجى من السجن .. سيقتلوننى إن عاجلًا أو آجلًا .

ثم تعلَّق بأحد رجال الشرطة ، وهتف فى ضراعة :

ــ أنتم تعرفون هذا .. أليس كذلك ؟

وفجأة .. وفى حركة سريعة ، اختطف (فهيم) مسدس رجل الشرطة ، وقفز إلى الوراء ، وهو يصوِّبه إلى الجميع ، صائحًا فى عصبية :

ــ سأطلق النار على أول من يتحرَّك منكم .. هل تسمعوننى ؟.. لن أتردَّد فى إطلاق النار .

★ ★ ★

٨ ــ الاعـتراف ..

فى الوقت الذى تدور فيه هذه الأحداث فى منزل (عماد) و (غلا) ، كان (مدبولى) يندفع نحو (عماد) ، محاولاً اعتصار عنقه الصغير بيديه القويتين ، ولكن (عماد) لم ينتظر وصول (مدبولى) إليه ، واستغلَّ تلك الغشاوة التى صنعتها حفنة التراب فى عينيه ، فانحنى بجسده الضئيل فى سرعة ، ومرق بين ساقى (مدبولى) ، الذى ارتبك للمفاجأة ، فسقط أرضًا ، فى حين انطلق (عماد) يعدُو نحو المخزن ، وهو لا يدرى أين يمكنه الذهاب ..

نهض (مدبولى) فى غضب ، وقد أورثه خداع (عماد) المتكرِّر له ثورة هادرة ، جعلته يطلق رصاصته خلف (عماد) فى جنون ، وأخطأت هذه الرصاصة (عماد) أيضًا ، فانطلق يدور حول المخزن ، محاولًا الاحتماء به ، أو البحث عن مهرب خلفه ..

وفجأة .. ارتطم برجل ضخم ، وأمسك به الرجل فى قوة ، وقال فى حدَّة :

ــ ماذا يحدث هنا ؟

رفع (عماد) عينيه إلى الرجل فى ذُعر ، ثم اتسعت عيناه فى دهشة ، وعاد قلبه ينبض بالأمل ..

كان ذلك الرجل أحد خفراء المنطقة ، وبندقيته الحكومية مُشْهرة فى يده .

* * *

تراجع (فهيم) فى توتُّر ، نحو باب المنزل ، وهو يصوِّب مسدس ضابط الشرطة إلى الموجودين ، وقال اللواء (مندور) ، وهو يتابعه فى صرامة :

ــ إنك تضيف تهمة جديدة إلى جرائمك يا (فهيم) .. فمقاومة رجال الشُّرطة جريمة لا يستهان بها .

هتف (فهيم) فى حدَّة :

ــ لَمْ يعُد أمامى ما أخسره .

قال العقيد (خيرى) فى صرامة وبرود :

ـــ بل بقى لديك الكثير أيها الوغد ، فستطول فترة سجنك خلف القضبان .

صاح (فهيم) فى توتُّر :

ـــ إننى على العكس أهرب من هذا المصير أيها العقيد .

اكتست ملامح العقيد (خيرى) بجمود رهيب ، وهو يتقدَّم نحو (فهيم) بخطًا ثابتة ، ويقول فى هدوء :

ـــ إنك لن تفلت أبدًا .

تراجع (فهيم) فى ذُعر ، أمام تلك النظرة المخيفة ، المطلَّة من عينى العقيد (خيرى) ، وارتعد صوته وهو يقول :

ـــ لا تواصل اقترابك منّى أيها العقيد .. سأطلق النار عليك لو فعلت .

هاله أن واصل العقيد (خيرى) اقترابه منه فى خطوات هادئة بطيئة ، غير مبالٍ بالمسدس المُشْهر فى وجهه ، فصرخ فى جنون :

ـــ لا تقترب .. سأطلق النار .

قال العقيد (خيرى) فى صوت بارد كالثلج :

ـــ لم يعُد لدىَّ ما أخسره أنا أيضًا أيها الوغد ، فنجاحك فى الفرار من هنا سيعنى ضياع آخر فرصة فى استعادة ولدى ، وهذا يشبه الموت بالنسبة لى .

كان لصرامته وبروده وجسارته أثرٌ كالسحر ، فقد نسى (فهيم) أنه هو الذى يملك السلاح ، وهو الذى يهدِّد الآخرين ..

تراجع فى ذُعر هائل ، وقال فى لهجة تقطُر توسُّلًا وضراعة :

ـــ اتركنى أذهب ، وسأعيد إليك ولدك .. أُقسم لك .

استمر العقيد (خيرى) فى تقدُّمه البطىء ، وهو يقول فى صرامة باردة :

ـــ فات أوان المساومة أيها الوغد .

دارت عينا (فهيم) فى محجريهما من شدَّة ذُعره ،

وتلفَّت حوله فى رُعب بحثًا عن مفرّ ، ثم تفجَّرت ملامحه بالغضب مع شدة يأسه ، وصرخ :

ــ سأقتلك إذن .. سأقتلك ولنقض معًا .

* * *

كانت صرخة (فهيم) كأنها إشارة الانطـــلاق بالنسبة للعقيد (خيرى) ، فلم تكد تنبعث حتى تخلَّى فجأة عن جموده وبروده ، وقفز فى رشاقة نحو (فهيم) ، وتحوَّلت قبضته إلى كلَّابة فولاذيَّة ، وهى تحيط معصم هذا الأخير ، وترفع فوَّهة المسدس عاليًا ، لتنطلق منه رصاصة غاشمة فى سقف الحجرة ، ثم أدار العقيد (خيرى) ذراع (فهيم) كلها فى مهارة وسرعة ، وأجبره بضربة قوية على إسْقاط مسدسه ، وجذبه إليه من سترته ، وكال له لكمة قوية فى أنفه ..

سالت الدماء من أنف (فهيم) المحطَّم ، وحاول أن يدفع العقيد (خيرى) عنه فى ذُعر .. ولكن هذا الأخير وجَّه إليه لكمة أخرى فى معدته ، تأوَّه لها

وأجبره بضربة قوية على إسقاط مسدسه ، وجذبه إليه من سترته ، وكال له لكمة قوية فى أنفه ..

(فهيم) فى ألم ومرارة ، قبل أن تخرسه لكمة ثالثة فى فمه ..

غامت الدنيا أمام عينى (فهيم) ، وخُيِّل إليه أن الظلام يطبق عليه من كل جانب ، وارتجف جسده حينما شعر بفوَّهة مسدس تلتصق بجبهته ، وسمع صوت زناده يستعد للإطلاق ، مقترنًا بصوت العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أين ولدى أيها القذر ؟

غمغم (فهيم) فى ضعف :

ــ لا يمكننى أن أخبرك .. سيقتلوننى .

قال العقيد (خيرى) فى حدَّة :

ــ القانون أيضًا يمنح رجل الشُرطة الحق فى قتل المجرم ، الذى يحاول الفرار ، أو يقاوم محاولة القبض عليه أيها الوغد .

والآن يمكنك أن تختار بين موت فورى محتَم ، وآخر قد لا يأتى أبدًا .

لَمْ يعد (فهيم) قادرًا على المقاومة ..

كان شعوره بالفزع قد وصل إلى ذروته ، وانهياره قد بلغ مبلغه ، فترك رأسه يتخاذل على صدره ، وغمغم فى وهن واستسلام :

ــ سأخبرك أيها العقيد .. سأعترف بكل شىء .

* * *

٩ ــ القـــاتل ..

لم يكد (عماد) يرى الخفير ممسكًا بندقيته ، حتى راوده الأمل فى النجاة ، وهتف فى انفعال :

ــ هناك رجل يسعى لقتلى أيها الخفير .

عقد الخفير حاجبيه فى دهشة ، وقال :

ــ رجل يسعى لقتلك أنت ؟!

قبل أن يشرح له (عمـاد) الأمـر ، سمع صوت (مدبولى) من خلفه يقول :

ــ لاتصدّق عبث الصغير أيها الخفير .. إنه ابن شقيقتى ، وقـد فرَّ من المنـزل حتـــى لايذهب إلى المدرسة ، وهو يحاول منعى من استعادته .

ابتسم الخفير ، وقـد خُيِّـل إليـه أنـه فهـم حيلـة (عماد) ، الذى هتف فى حدَّة :

ــ لاتصدّق أيها الخفير ، والـدى هو العقيـــد (خيرى) ، من شعبة البحث الجنائى ، فى مديرية أمن القاهرة ، وهذا الرجل مجرم ، اختطفنـى من منـزلى ، ويحاول الآن قتلى .

نقـل الخفير عينيـه فى قلـــق ، بين (عمـــاد) و (مدبولى) ، الذى اغتصب ضحكة ساخرة ، وهو يقول فى تهكُّم :

ــ يالك من طفـل مخادع !! هذا هو ماصنعه التليفزيون بأطفال هذا الجيل .. لقد ابتكر عقله الصغير قصة بوليسية طريفة ، وتمادى فى الأمر ، حتى ادعى أنه ابن عقيـد فى الشُرطـة ، فى حين أن والـده ــ زوج شقيقتى ــ رجل مسكين ، يمتلك كشكًا صغيرًا لبيع الحلوى والسجائر ، ويقضى نهاره كلّه فى كدٍّ وعرق ، من أجل إطعام هذا المخادع وأشقَّائِهِ .

ثم مدَّ يده إلى (عماد) ، وقال فى صرامة :

ــ هيَّا يا بن شقيقتى العزيز .. لقد فشلت محاولتك هذه المرة .

تشبَّث (عماد) بالخفير ، وصاح :

ــ صدِّقنى أنه قاتل ، ولو قمت بتفتيشه ، فستجده يخفى مسدسًا فى طيّات ثيابه .. هل سمعت عن رجل يحمل مسدسه للبحث عن طفل هارب ؟

عقد الخفير حاجبيه ، وهو يسأل (مدبولى) فى صرامة :

ــ هل تحمل مسدسًا ؟

اغتصب (مدبولى) ضحكة أخرى ، وقال :

ــ إنه مسدس مرخَّص أيها الخفير ، وأنا أحمله دائمًا ، وهذا المخادع الصغير يعلم ذلك ، ويستغله لبعث الشك فى قصتى .

ارتفعت فوَّهة بندقية الخفير نحو (مدبولى) فى بطء ، وهو يقول فى شك :

ــ ولكننى سمعت صوت طلقات نارية ، وهذا ما يجعلنى أسرع إلى هنا .. فهل كنت تطلق النار على ابن شقيقتك ؟

ضحك (مدبولى) فى صعوبة ، وقال :

ــ طلقات نارية ؟!.. إنك واهم أيها الخفير .

ثم التقط مقبض مسدسه ، وهو يردف :

ــ إن مسدّسى لَمْ يطلق رصاصة واحدة ، وهاك هو لتتأكد مما أقول .

صاح الخفير ، وهو يُشْهِر بندقيته فى سرعة :

ــ حذار أن تمسَ مسدسك .

ولكن (مدبولى) كان أكثر سرعة ، فقد انتزع مسدسه بلا تردُّد ، وأطلق النار على الخفير المسكين ..

جحظت عينا الخفير ، واندفع الدم يغرق حُلَّته الرسمية ، وترنَّح جسده لحظة ، ثم هوى جثة هامدة ، أمام عينى (عماد) المذعورتين ، وتراجع (عماد) فى ذهول ، وهو يحدِّق فى فوَّهة مسدَّس (مدبولى) ، التى يتصاعد منها الدخان ، فى حين قال (مدبولى) فى وحشية ، وهو يقترب منه :

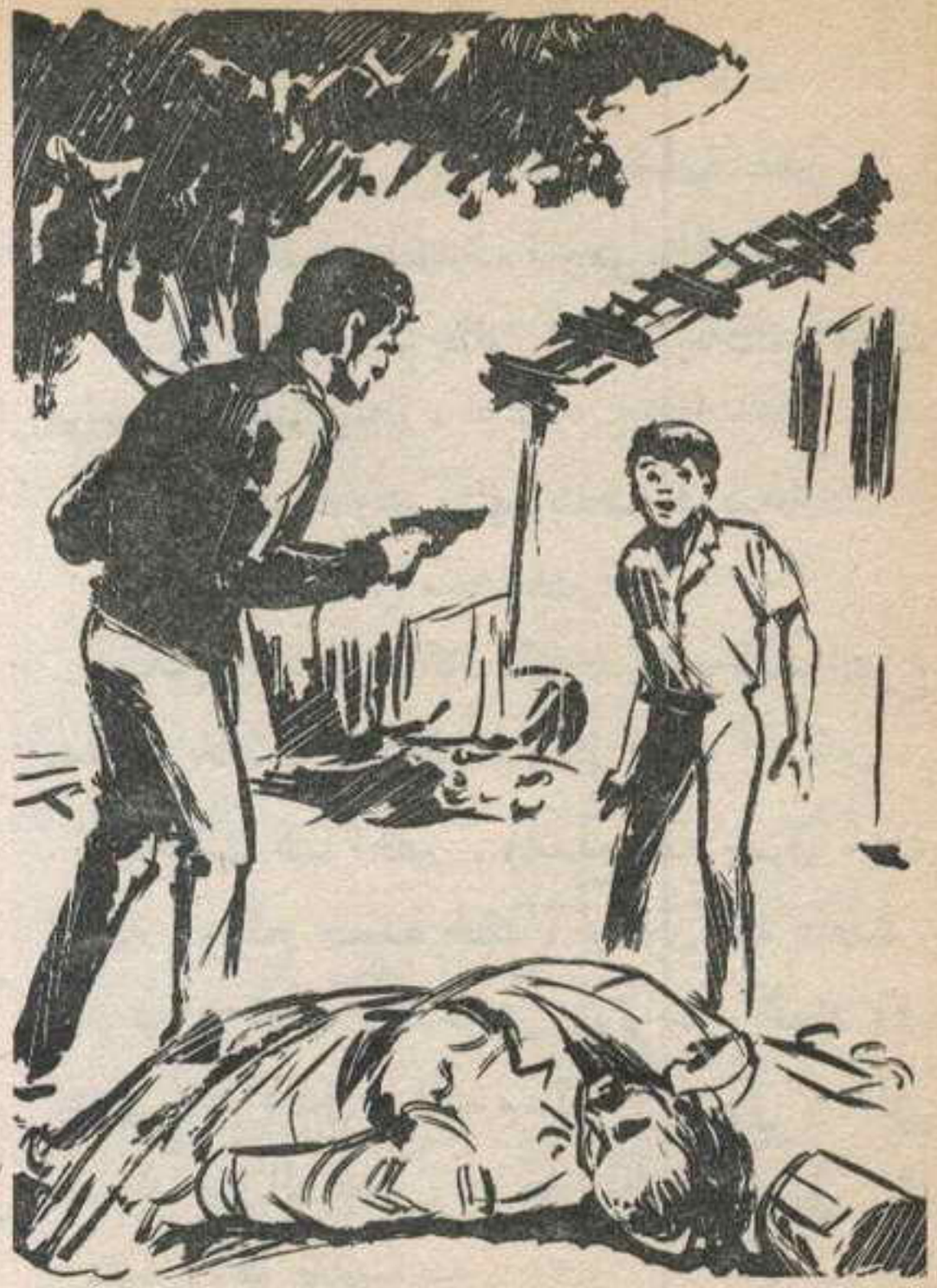

ثم هوى جثة هامدة ، أمام عينى (عماد) المذعورتين وتراجع (عماد) فى ذهول ، وهو يحدّق فى فوهة مسدس (مدبولى) ..

ــ قلت لك : لا فائــدة تُرْجَــى من فرارك أيها الشيطان الصغير ، فأنا قاتلك لا محالة .

وصوَّب مسدسه إلى رأس (عماد) ، وضغط زناده فى قوة ..

* * *

كان (عماد) يتوقَّع رصاصة قاتلة ، تحطِّم رأسه الصغير ، وتنهى عمره القصير ، ولكن الصوت الذى قفز إلى أُذنيه لم يكن صوت رصاصة ..

كان صوتًا معدنيًا مكتومًا ، أعقبته صرخة ساخطة من بين شفتى (مدبولى) ، الذى صاح :

ــ يا للمسدس اللعين .. لقد فَرَغَت رصاصاته .

لم يصدِّق (عماد) نفسه لأول وهلة ، ثم صرخ عقله فجأة أن هذه فرصة مثالية لمعاودة محاولته الهرب ، فاندفع بمحاذاة جدار المخزن ، وأفلت بصعوبة من قبضة (مدبولى) ، الذى قفز محاولًا منعه ، وعاد يعدُو فى المنطقة المقفرة ..

اشتعلت ثورة (مدبولى) مرة أخرى ، وقفز خلف (عماد) ، وهو ينتزع خزانة مسدسه الفارغة ، ويلتقط من سرواله بضع رصاصات جديدة ، أخذ فى حشو الخزانة بها ، وهو يعدُو خلف (عماد) ، الذى أطلق ساقيه للريح ، وهو يبحث مرة أخرى عن مخبأ جديد ، أو منفذ للهرب ..

كان يتجه فى فراره هذه المرة نحو حقل القمح ، وتوقَّف (مدبولى) لحظة ، ليثبِّت الخزانة فى المسدس ، ثم رفع عينيه إلى (عماد) ، الذى يعدُو فى سرعة ، وغمغم (مدبولى) بكل ما يعتمل فى أعماقه من توتُّر وثورة :

ــ لن تفلت منى هذه المرة أيها الشيطان الصغير .

وبدلًا من أن يواصل عَدْوَه خلف (عماد) ، وقف ثابتًا ، ورفع مسدسه على امتداد ذراعه ، وضاقت عيناه ، وهو يصوِّب المسدس فى دِقَّة إلى الجسد الصغير ، ثم غمغم فى سخط :

ــ لن أخطئ جسدك هذه المرة أيها الصغير .

وحبس أنفاسه فى قوة ، وأطلق الرصاصة القاتلة نحو (عماد) ..

* * *

١٠ ــ النيران ..

قفز (عماد) فى فزع ، عندما أصابت الرصاصة صخرة ، على بعد سنتيمترات قليلة من ساقه ، فزاد من سرعة عدوه ، وهو لا يدرى أين يذهب هذه المرة أيضًا ، وللمرة الثانية لم يجد أمامه سوى حقل القمح القريب ، فاقتحمه وهو يستعيد موقفه المفزع مع الحيَّة السَّامة ..

اختفى جسد (عماد) الضئيل ، بين سنابل القمح فى لحظات ، وعقد (مدبولى) حاجبيه فى ضيق ، وغمغم فى توتُّر واضح :

ــ هذا الصغير الشيطان ، هل ينوى خداعى مرة أخرى ؟

لم يتردَّد (مدبولى) ، فاقتحم الحقل بدوره ، وأخذ يبحث عن عماد فى عصبية زائدة ..

أخذ (عماد) يزحف على بطنه ، محاولًا الابتعاد ، وبدا له حقل القمح كمحيط أصفر متلاطم ، لا نهاية له ..

توقَّف لحظة ليلتقط أنفاسه ، فتناهى إلى مسامعه صوت (مدبولى) ، يصيح قائلًا :

ــ لن تنجح فى الابتعاد كثيرًا أيها الشيطان الصغير .. استسلم أو ....

كان صوت (مدبولى) قريبًا ، حتى أن (عماد) حبس أنفاسه ، واستقر ساكنًا فى مكانه وسط سنابل القمح ، محاولًا ألا تبدر منه أية حركة ، تشير إلى وجوده ..

عاد (مدبولى) يكرِّر نداءه فى غضب :

ــ لا تجبرنى على اتخاذ موقف تندم عليه أيها الصَّبىّ .

تلفَّت (مدبولى) حوله ، محاولًا استنباط المكان الذى يختبئ فيه (عماد) ، ولكن الظلام ، وسكون

حركة (عماد) ، جعلا هذا الأمر بالغ الصعوبة ، بل يكاد يكون مستحيلًا ..

ظهر الغضب على وجه (مدبولى) ، وغمغم فى سخط :

ــ هذا الصَّبىّ اللَّعين !!

وفجأة انعكست على وجهه أضواء النيران المشتعلة فى المخزن ، فبرقت عيناه ببريق شيطانى ، وابتسم وهو يقول :

ــ حسنًا أيها الصَّبىّ الشيطان ، سأصنع لك جحيمًا مناسبًا .

سمع (عماد) صوت خطوات (مدبولى) وهو يبتعد ، فعاد يواصل زحفه فى سرعة ، ولكنه قبل أن يبتعد بصورة كافية ، سمع صوت الخطوات يعاود الاقتراب ، ويتجاوزه ببضعة أمتار ، ثم سمع صوت (مدبولى) يعلُو صائحًا :

ــ أنت الذى اضطررتنى لذلك أيها الشيطان الصغير .

وفجأة ارتفع صوت عجيب ، كفرقعة أخشاب صغيرة تحترق ، واشتم أنف عماد الصغير رائحة الدخان ، فخاطر برفع رأسه إلى أعلى ، ولم يكد يفعل حتى بلغ منه الرُّعب مبلغه ، فقد كان حقل القمح يحترق ، والنيران تقترب منه فى سرعة مذهلة ..

* * *

انطلقت سيارات الشُّرطة ، وهى تطلق أبواقها المميَّزة ، تقطع شوارع القاهرة ، إلى المكان الذى أشار إليه (فهيم) ، والذى ادعى وجود (عماد) فيه ، وفى داخل إحداها كان العقيد (خيرى) يقول لأحد رجال الشُّرطة فى قلق :

ــ ينبغى أن نسرع ، فأنا أعرف ابنى جيِّدًا ، وهو لن يستسلم فى سهولة ، ولابدَّ من أن يقاوم على نحو قد يدفع المجرم للتخلُّص منه .

قال رجل الشرطة :

ــ لك أن تفخر بابنك الشجاع هذا يا سيادة العقيد .

ابتسم العقيد (خيرى) على الرَّغم منه ، وغمغم :

ــ ولكنه ما زال طفلًا .

قال رجل الشرطة فى حماس :

ــ أصدقك القول إننى لم ألتق برجال فى مثل ذكائه ، وشجاعته من قبل ، أراهنك أنه سيصبح عبقريًا نادرًا ، حينما يصل إلى سنِّى .

أومأ العقيد (خيرى) برأسه إيجابًا ، وقال فى آلية :

ــ المهم أن تسنح له الفرصة للوصول إلى سنِّك يا صديقى .

ابتسم رجل الشرطة ، وقال .

ــ سيتخطَّى الستين بإذن الله يا سيادة العقيد .

ثم أردف ، وهو يشير إلى منطقة يخيِّم عليها الصمت :

ــ ها قد وصلنا .

توقَّفت سيارات الشُّرطة فى المنطقة الخالية ، إلا من

كوخ خشبى صغير ، وهبط منها رجال الشُّرطة فى تكتيك مدروس ، بحيث تحميهم سياراتهم ، وتتوجَّه فوَّهات مسدساتهم إلى الكوخ الخشبىّ ، وصاح العقيد (خيرى) بملء فيه :

ــ استسلم يا (مدبولى) ، لقد ألقينا القبض على (فهيم) ، واعترف بكل شىء ..

ساد صمت مطبق بعد عبارة العقيد (خيرى) ، وغمغم أحد رجال الشُّرطة :

ــ لقد طوَّقنا المكان كله ، ولا أعتقد أنه يحاول الهرب .

كانت (عُلا) التى صحبت فريق الشرطة إلى المكان المهجور ، تتلفَّت حولها طوال الوقت فى قلق ، ثم لم تلبث أن قالت :

ــ لقد خدعنا (فهيم) يا والدى .

استدار إليها رجال الشُّرطة فى دهشة ، وسألها والدها :

ـــ كيف تجزمين بهذا يا (عُلا) ؟

أشارت (عُلا) إلى المكان ، وقالت :

ـــ هذا المكان مهجور ، حتى أنه من المستحيل تقريبًا الوصول إليه دون سيارة ، ولو أنكم نظرتم إلى العلامات ، التى تبدو واضحة على الطريق ، لتبيَّنتم أنه لم تصل إلى هنا أية سيارة ، سوى سيارات الشُّرطة ، منذ وقت بعيد .

تأمَّل رجال الشُّرطة العلامات ، ثم غمغم أحدهم فى دهشة :

ـــ كيف توصَّلت إلى هذا أيتها الصغيرة ؟

أجابته (عُلا) فى اهتمام :

ـــ لقد علَّمنى والدى هذا ، حينما كان يشرح لى وأخى علم الفراسة ، الذى تدرسونه فى كليات الشُّرطة .

قال العقيد (خيرى) :

ـــ لقد تفوَّقت فيه يا بنيَّتى .

ثم تناول مسماع جهاز اللاسلكى ، وقال فى حزم :

ـــ هنا العقيد (خيرى) .. أريد موافاتى بمواقع كل المناطق المهجورة ، حول القاهرة .

صمت لحظة ، ثم أردف فى قلق :

ـــ وبسرعة ، قبل أن يحدث ما لا تحمد عقباه .

* * *

١١ ــ الاستسلام ..

أخذت النيران تزحف نحو (عماد) فى سرعة مخيفة ، فوجد نفسه يعدُو دون تفكير ، مبتعدًا عنها ...

كان سباقًا رهيبًا ، بين النار بكل قوتها ، وشراستها ، وبين (عماد) بساقيه الصغيرتين ، ولكنه نجح فى مغادرة الحقل ، قبل أن تلتهمه النيران ..

لم يكد يفعل ، حتى وجد نفسه وجهًا لوجه أمام (مدبولى) ، الذى افتر ثغره عن ابتسامة شرسة ، وصوَّب مسدسه إلى (عماد) ، قائلًا :

ــ هل كنت تظن أنك قادر على هزيمتى أيها الصغير ؟

أجابه (عماد) فى شجاعة :

ــ الحقّ ينتصر دائمًا أيها المجرم .

هوَى (مدبولى) بصفعة قوية على وجه (عماد) ، وقال فى غضب :

ــ سأعلِّمك كيف تخاطبنى أيها الوغد الصغير .

وفى قسوة جذب (عماد) من ذراعه إلى المخزن ، ودفعه ليسقط على وجهه ، ثم انتزع عودًا خشبيًّا ، ورفعه قائلًا :

ــ هل ذُقت يومًا طعم الضرب أيها الصغير ؟

تمالك (عماد) شجاعته ، وقال :

ــ هل تجد قوَّتك فى ضرب الصغار ؟

صرخ (مدبولى) فى غضب :

ــ أيها الصغير الوقح .

ثم هوَى بالعود الخشبىّ على رأس (عماد) ، ولكن (عماد) قفز جانبًا ، متحاشيًا تلك الضربة القوية ، وصاح :

ــ ألَمْ تنتبه بعد إلى الخطأ الذى وقعت فيه أيها المجرم ؟

ثم هوَى بالعود الخشبىّ على رأس (عماد) ، ولكن (عماد) قفز جانبًا ، متحاشيًا تلك الضربة القوية ..

عقد (مدبولى) حاجبيه ، وقال فى قلق :

ــ أى خطأ هذا ؟

أجابه (عماد) :

ــ لقد أشعلت النار فى حقل للقمح ، وستجذب النيران عشرات الناس إلى هنا فى غمضة عين .

ظهر القلق على وجه (مدبولى) ، وغمغم :

ــ ولكن الحقل ملك للزعيم .

هتف (عماد) ، فى محاولة لإضاعة الوقت :

ــ لن يمكنك منع الشهامة المصرية على الأقل .. وأراهنك أن عشرات الناس سيهرعون إلى هنا ، فى محاولة لإطفاء النيران ، فهم لا يعلمون أن صاحب الحقل مجرم زنيم .

وفجأة حدث ما محا كل أثر للشك من نفس (مدبولى) ، فقد تناهى إلى مسامعه صوت عشرات الرجال ، وهم يسرعون إلى الحقل المشتعل ، فقال فى توتُّر وغيظ :

ـ لقد كنت مُحِقًا أيها الصغير ، ولكن هذا لن ينجيك منِّى .

ثم أردف ، وهو يرفع مسدسه فى وجه (عماد) :

ـ سيكون آخر ما أفعله ، هو أن أقتلك .

* * *

كانت سيارات الشُرطة تنهب الطريق نهبًا ، عندما صاحت (غُلا) :

ـ انظر يا والدى .. إنه حريق يشتعل .

عقد الوالد حاجبيه ، وقال وهو ينظر إلى النيران المستعرة :

ـ هذه مهمة رجال الإطفاء و ....

صمت لحظة ، وكأنه لا يستطيع هضم المنطق الذى يتحدَّث به ، ثم لم يلبث أن أردف :

ـ ولكننى أعتقد أننا نستطيع المعاونة على الأقل ، حتى تصل سيارات الإطفاء .

غمغم أحد رجال الشُرطة :

ـ ولكن هذا سيضيع المزيد من الوقت يا سيادة العقيد ، وأنت تعلم أن حياة ولدك قد تتوقَّف على دقيقة واحدة .

ساد صمت ثقيل ، ثم قال العقيد (خيرى) ، فى صرامة رجل حزم أمر نفسه :

ـ ولدى مواطن مثل هؤلاء الذين يحترقون ، والشُرطة فى خدمة الشعب كله ، بلا تفرقة .

ثم أردف فى ألم :

ـ سنتجه جميعًا إلى الحريق أولًا ، حتى يصل رجال الإطفاء ، وليفعل الله (سبحانه وتعالى) ما فيه الخير .

* * *

شعر (عماد) بالرُعب ، أمام المسدس المصوَّب إلى وجهه ، فقال محاولًا إقناع (مدبولى) ، بالتخلى عن فكرته الوحشية :

ـ لماذا تصرّ على ارتكاب جريمة عقوبتها الإعدام ؟

قال (مدبولى) فى حدَّة :

ـ صَهْ أيها الصغير .. لا تحاول التلاعب بى مرة ثانية .

عاد (عماد) يقول :

ــ إن جريمتك وزعيمك حتى الآن ، لا تتعدى سرقة سيارة ، وعقوبة هذه الجريمة تعدُّ بسيطة ، بالنسبة لعقوبة قتل .

تردَّد (مدبولى) لحظة ، ثم قال فى صرامة :

ــ ومن قال إننا سنعاقب بتهمة السرقة ؟

واغتصب ضحكة ساخرة ، قبل أن يستطرد :

ــ أنت الشاهد الوحيد على تورُّطنا فى عملية السرقة ، وبقتلك ينتهى الأمر .

ازدرد (عماد) لعابه ، وقال :

ــ وهل نسيت شقيقتى ؟

اتسعت عينا (مدبولى) ، وغمغم فى قلق :

ــ لا أعتقد أنها ستذكر وجوهنا جيدًا .

جاء دور (عماد) هذه اللحظة ، ليغتصب ابتسامة ساخرة ، يخفى بها قلقه وهو يقول :

ــ أنت واهم إذن ، ألَمْ تسمع زعيمك يقول إننا الصغيران اللذان يعاونان الشُّرطة ؟

غمغم (مدبولى) بمزيد من القلق :

ــ لا يوجد أطفال فى صفوف الشُّرطة .

قال (عماد) فى توتُّر :

ــ هذا ما تظنُّه أنت .

ظهرت الحَيْرة على وجه (مدبولى) ، ثم لم يلبث أن قال فى حدَّة :

ــ أنت تحاول خداعى ، ولكننى لن أتركك ، لابدَّ من قتلك .

* * *

شعر (عماد) فى هذه اللحظة أنه قد استنفد كل وسائله ، لإضاعة الوقت ، ومنع (مدبولى) من ارتكاب جريمته ، ولم يعد أمامه سوى المقاومة ..

وفجأة اندفع (عماد) نحو (مدبولى) ، الذى أصابته الدهشة من جرأة الصغير ، وصاح فى توتُّر بالغ :

ـ سأقتلك أيها الشيطان الصغير .. سأ ....

قبل أن يتم عبارته ، كان (عماد) قد انزلق بجسده الصغير من بين قدميه ، ثم اندفع يعدُو ، محاولًا الخروج من المخزن ، الذى لم يغلقه (مدبولى) خلفه هذه المرة ..

كان أمل (عماد) الوحيد هو النجاح فى الوصول إلى الرجال ، الذين يحاولون إطفاء الحريق ، والاستنجاد بهم ..

لم يكد يصل إلى باب المخزن حتَّى دوَّى صوت رصاصة ، وسمع (عماد) صوتها وهى ترتطم بالباب ، مما زاد من رعبه ، فأطلق لساقيه العنان ، على حين صرخ (مدبولى) :

ـ توقَّف أيها الصغير .

رأى (مدبولى) (عمـــاد) وهـــو يسرع نحو الرجال ، الذين انهمكوا فى إطفاء الحريق ، فغمغم فى توتُّر :

ـ هذا الشيطان الصغير ، سيفسد كل شىء .

ثم صوَّب مسدسه إلى (عماد) فى إحكـــام ، وغمغم :

ـ الوداع أيها الصغير .

ودوَّت فى المكان صوت طلقة رصاص ..

طلقة صائبة هذه المرَّة .

* * *

١٢ ــ الختـــام ..

تصوَّر (عماد) لحظة ، أن الرصاصة قد أصابته فى مقتل ، ولكنه توقَّف عن العَدْو فجأة ، حينما وصل إلى مسامعه صوت صرخة ألم ، انطلقت من حنجـرة (مدبولى) ، وسمع هذا الأخير يصرخ فى رعب :

ــ إننى أستسلم .

استدار (عماد) فى دهشة ، فرأى عشرات من رجال الشُرطة يحيطون بالمكان ، ويلقـون القـبض على (مدبولى) ، الذى بدا شديد الرُعب والتوتُر ، ثم رأى شخصًا يعرفـه جيِّـدًا يسرع نحوه ، وفى يده مسدس يتصاعد من فوَّهته الدخان ..

كان والده العقيد (خيرى) ..

رقص قلب (عماد) فرحًا ، وهـو يلقـى بجسده الصغير بين ذراعى والده ، الذى هتف فى ارتياح :

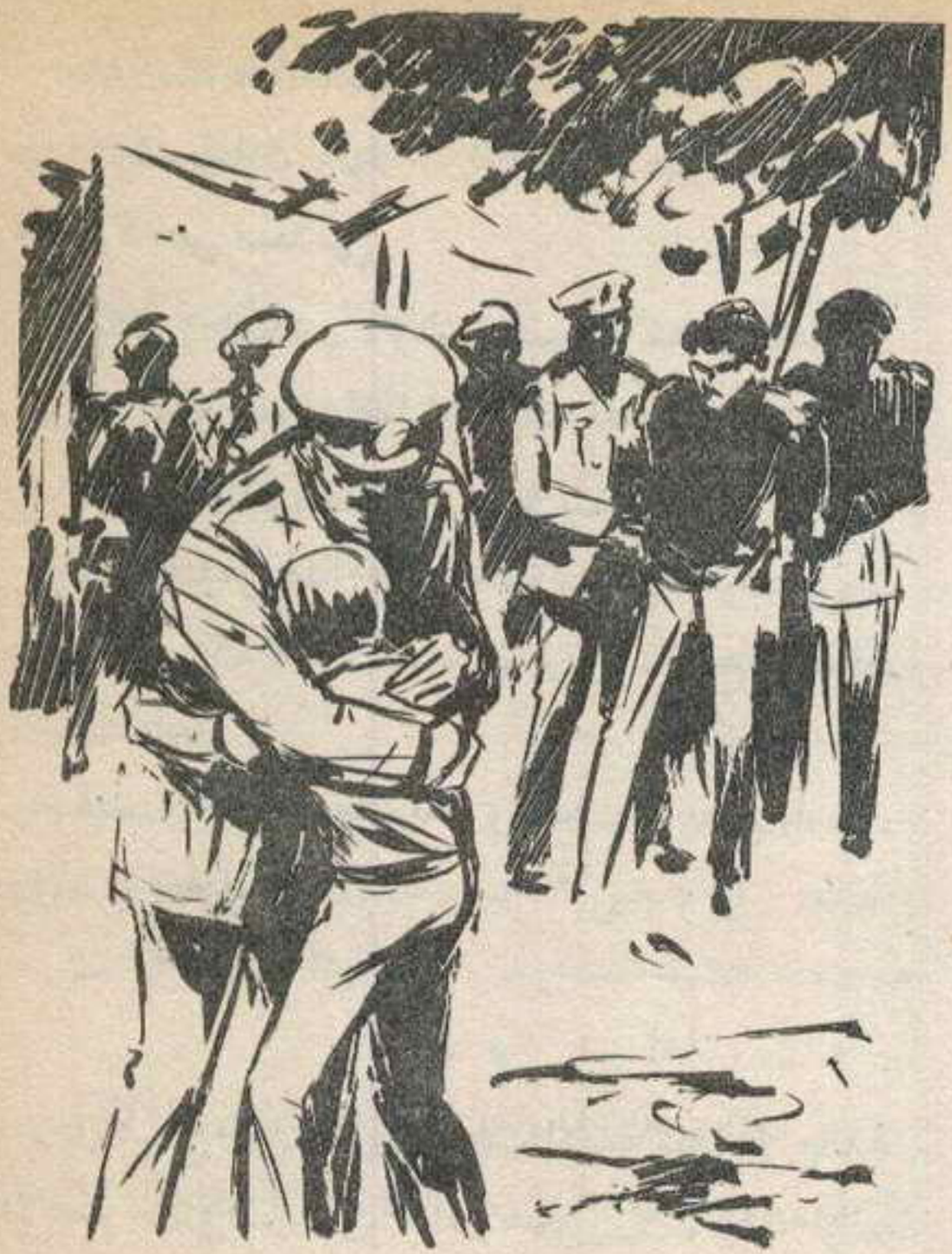

رقص قلب (عماد) فرحًا ، وهو يلقى بجسده الصغير بين ذراعى والده ..

ـــ حمدًا لله ، لقد وصلنا فى الوقت المناسب ، كاد هذا الوغد يقتلك ، لولا أن رأيته ، فاضطررت إلى تحطيم يده برصاص مسدسى .

هتف (عماد) ، وهو يحتضن والده فى سعادة :

ـــ أنت تصل دائمًا فى الوقت المناسب يا أبى .

أخفى الوالد سعادته ، وهو يقول :

ـــ دَعْنا من هذا الحديث ، ولنسرع بالعودة قبل أن يقتل القلق والدتك ، ثم سيكون لى معك ومع شقيقتك حديث طويل .

فهم (عماد) ما يريده والده ، فأحنى رأسه ، وقال فى خجل :

ـــ كما تأمر يا أبى .

* * *

فى صباح اليوم التالى اجتمعت الأسرة كلها على مائدة الإفطار ، بالإضافة إلى اللواء (منِدور) .. وكان الوالد يقول :

ـــ صحيح أنكما نجحتما فى كشف لُغز قضية لصّ السيَّارات ، ولكنكما تصرَّفتما بأسلوب مخطئ .

أضاف اللواء :

ـــ هذا صحيح .. كان الأفضل والأصحّ إبلاغنا بما توصَّلتما إليه ، حتى يتم الأمر بالصورة الصحيحة .

قال (عماد) فى خجل :

ـــ لقد خشينا أن تسخروا منَّا ، لو أن استنتاجنا لم يكن صحيحًا .

قال الوالد :

ـــ خطأ يا (عماد) .. كلنا بشر ، والعصمة لله وحده ، ولا ينبغى أن يتصرَّف الإنسان بصورة غير صحيحة خشية الفشل .

قالت (عُلا) :

ـــ هذا صحيح يا والدى .. سنضيف هذا الدرس إلى قائمة الدروس التى تعلَّمناها من الأخطاء .

ثم قال (عماد) و (عُلا) فى آن واحد :

ـ ونعدكم بألَّا يتكرَّر الخطأ مرة ثانية مطلقًا .

ابتسم الجميع بتسامح ، ونهض اللواء (منـدور) قائلًا :

ـ حسنًا .. سننسى كل شيء ، ونتذكَّر فقط عبقريتكما فى حلِّ لُغز لصّ السيَّارات .

ثم نظر إلى ساعته ، وقال :

ـ والآن سأمنحكما امتيازًا جديدًا ، فقد حان موعد مدرستكما .

واتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ـ ستذهبان إلى المدرسة اليوم فى سيَّارة من سيارات الشُّرطة ، وهذه أقل مكافأة تقدِّمها لكم الشُّرطة المصريَّة يا فريق (ع×٢) .

[تمت بحمد الله]

مغامرات ع × ٢ عماد وعلا

سلسلة ألغاز بوليسية مثيرة للناشئين

تنشط العقل وتنمى الفكر والذكاء..

٦

● قضية لص السيارات ●

● سيارة العقيد (خيرى) تختفى فجأة من أمام منزله.. إنه الحادث الثالث للص السيارات الشهير.. من هو هذا اللص؟.. وكيف يرتكب جرائمه؟

● تُرى كيف يحل فريق (ع × ٢) لغز هذه القضية الجديدة؟

● اقرإ التفاصيل وحاول أن تسبق (عماد) و (عُلا) إلى حل اللُّغز.

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن فى مصر ٥٠
وما يعادل دولارًا أمريك
فى سائر الدول العربية والع

العدد القادم
(قضية مزوّر النقود)